

## الفصل الحادي والثلاثون

### نظرة عامة

مملكة غرناطة -- مدينة غرناطة -- الحمراء -- الزهراء -- الفنون  
والعلوم في غرناطة -- الملابس -- نظرة عامة في أسبانيا تحت حكم  
العرب -- الحكومة -- الإدارة -- الحالة الاقتصادية -- الصناعة --  
الزراعة -- الفنون الجميلة -- العلم -- مركز النساء -- الأدبيات  
والثقافات -- الملامح

كانت مملكة غرناطة تتألف من القسم الواقع في الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة ؛ ولم تكن مساحتها وهي في أزهى عصورها لتزيد على السبعين فرسخاً طولاً من الشرق إلى الغرب ، وخمسة وعشرين فرسخاً عرضاً من الشمال إلى الجنوب . وفي داخل هذه الرقعة الضيقة كانت غرناطة تجمع مختلف المصادر الطبيعية التي قد تحتاجها إمبراطورية عظيمة الشأن ، فكانت تتخلل وديانها الفسيحة الأرجاء جبال غنية بالمعادن ، كما كان سكانها يزودون الدولة بالفلاحين والجنود ذوى السواعد القوية والبأس الشديد ، وكان يخرق مروجها جداول المياه الصافية ، وتزين سواحلها عدد كبير من الثغور التي كانت تعد أعظم أسواق البحر الأبيض المتوسط على وجه الإطلاق ، وكانت مدنها تبلغ الثلاثين عدداً ، وقصباتها الثمانين ، وجميعها محصنة أقوى تحصين ، أما القرى فكان يبلغ عددها بضعة آلاف ؛ وكان وادى القوطة وغرناطة الذى يسمى الآن « الفيكاد كرافادة » مسرحاً لأروع ضروب الكفاح ، ومع ذلك لم تكن رقعته لتزيد على الثلاثين فرسخاً ، وكان يشقه نهرا « شينيل <sup>(١)</sup> » و « الدورو <sup>(٢)</sup> » ، وثلاثة أنهر أخرى

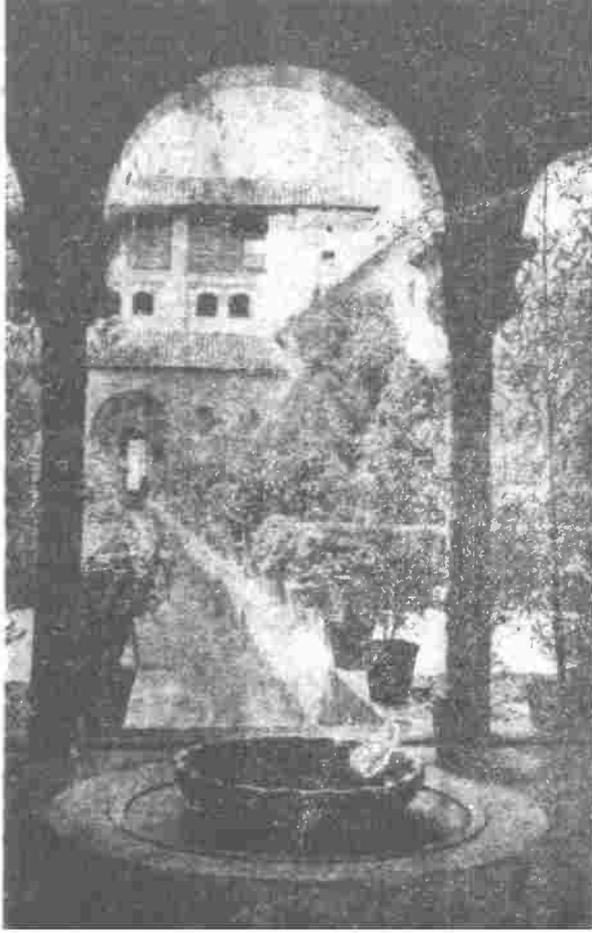
(١) ويسمى أيضاً شنجيل .

(٢) وهو نهر الحدارة الذى كتب عنه ابن الخطيب ويسميه الرومان بنهر سالون .

تنبع من جبال شولير بجوار (سيرانيفادة) ، وكان ذلك الوادى يزخر بالأحراش  
النضرة والقصور المنيفة الذرى ، والدور الجميلة و بساتين الكروم والزهور والحقول  
الدائمة الاخضرار تحيط بها الحدائق الفيحاء . وقد وجه العرب جهدهم لاستغلال  
وادي الفيحاء ودرسوا صلاحية التربة للنباتات ، ووزعوا مياه نهر الشنيل والدور  
في جداول لا حصر لها ؛ وضمنوا الحصول على الفواكه والغلال طوال أيام السنة  
ونجحوا أيما نجاح في زرع نبات المناطق الحارة ، كما كانوا يصدرون كميات عظيمة  
من الحرير والكتان من الميرة ومالقة إلى المدن الإيطالية التي بدأت تنتعش منذ  
ذلك الحين ، وكانت مصنوعات غرناطة كثيرة متنوعة ، وعرفت كل مدينة  
بصناعة خاصة ، وكانت ثغور « مملكة بنى الأحمر » تضم دائما أكبر عدد من  
السفن الأوروبية حتى أصبحت العاصمة بصفة كونها أكبر مركز للنشاط التجارى  
مدينة أومية . واشتهر أهل غرناطة بالأمانة والصدق في المعاملة . وأصبحت كلتهم  
مضرب الأمثال في الأمانة والوفاء ؛ وكانوا يصدرون علاوة على تلك المنسوجات  
والمعادن الثمينة كميات كبيرة من المنتوجات الخام ، وبالأخص الحرير والقنب  
الذين كانت فلورنسا تستورد منهما أكبر كمية من ثغرى الميرة ومالقة .

كانت غرناطة تبدو شائخة كالبرج في وسط الغوطة فيمتد قسم منها كما  
لا يزال يمتد إلى الآن في أحشاء وادى فيغا ، ثم يتدرج القسم الآخر على سفح  
التلال التي شيدت عليها عدة ضواح ريفية ، وكان نهر الدورو بعد أن  
يزود القصور والأسواق والطواحين والحمامات بالأمواه الكافية ينساب في  
السهل الفسيح .

وفي عهد « بنى ناصر » كانت غرناطة يحيط بها سور متين به اثنا عشر بابا  
ويعلوه ١٠٣٠ برجا ، وكانت قصور المدينة مزينة بحدائق مسوجة بالعرائش ،  
وزاخرة بأشجار الفاكهة كالبرتقال والليمون والطنج والآس واللوز ، والحائل  
الناضرة ذات الشذا العطرى ؛ وفوق ذلك كان ينساب في المنازل غدران صافية



غرناطة — حدائق بيعة العريف

ويتوسط الشوارع النوافير الجميلة التي ينبثق منها الماء ، فتبعث في النفس غبطة وفرحا عظيمين . أما المنازل فكانت بالغة حد الروعة والإبداع الهندسي ، وبلغ عدد سكان المدينة في منتصف القرن الخامس عشر زهاء أربع مائة ألف نسمة . وكانت تقع على قمة أحد التلال مقابل غرناطة قلعة ابن الأحمر أو المدينة الحمراء ، التي كانت تستوعب مساحتها أربعين ألف شخص ، ومن الصعوبة بمكان أن نوفي الآن هذا العمل الذي سمي بعمل الجن حقه من الوصف والإبداع

إذ أن القلاع والحصون والقصور بفنها المعماري الدقيق وأروقها وأعمدها الفخمة ،  
وقبها وسقوفها ذات الزخرفة والنقوش البديعة التي لم تفقد شيئاً من رونقها الأصلي  
إلى الآن ، وأبهائها الهوائية المشيدة ليربها النسيم المعطر بشذا الورد ؛ والبرك  
التي أحكم المهندسون تشييدها فأصبح انبثاق الماء فيها تابعاً لإرادة الإنسان ،  
إن أراد رفعه وإن أراد أنزله من علو شاهق في أشكال هندسية بديعة ، كذلك  
كانت الأبنية المنقوشة بالأصباغ والمزدانة بالفسيفساء على أجمل صنع وأتم إتقان  
فتنعكس عليها الأضواء والألوان ، منها الذهبي والقرمزي والأزرق والأرجواني ؛  
ومختلف التماثيل وبهو السباع المشتمل على ١٢٨ عموداً فخماً ، وأرصفها البيضاء  
والزرقاء ، وتناسق الألوان القرمزية والذهبية وتماثيل السباع<sup>(١)</sup> التي يجرى الماء  
من أفواهاها ، والبركة المرمرية<sup>(٢)</sup> ، وإيوان الموسيقى البديع حيث كان يجلس  
الأمير ورجال بلاطه يستمعون إلى عزف الموسيقى الشجية ، وانسجام النغمت  
في الألحان الجميلة ؛ وسراى الحريم البهجة بمشباتها النحاسية الفاخرة وسقوفها  
البديعة ، والأشكال الزخرفية والتصاوير والزخارف البارزة ، والتماثيل الناطقة ،

(١) جاء في فتح الطيب ج ١ ص ٢٣٣ أن لابن حديد الشاعر الأندلسي قصيدة يصف  
بها بركة هذا القصر وخروج الماء من أفواه الأسود قال منها :

وضراغم سكتت مرمين رباسة	تركت خريز الماء فيه زئيرا
فكأنا غفى النضار جومها	وأذاب في أفواهاها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك	في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتصكرت فتكاتها فكأنا	أقتت على أديارها لتثورا
وتغلما والشمس تجلو لونها	فأراً وألسنها الواحس نورا
فكأنا سكت سيوف جداول	ذابت بلا نار فصدت غديرا
وصكأنا نجح النسيم لائه	درعاً فقدر سردها تمديرا

(المغرب)

(٢) جاء في سراج الملوك ص ٥٠ ما يلي : « وكان من مجانبه أنه صنع فيه بركة ماء  
كأنها بحيرة ، وبين في وسطها قبة وساق الماء تحت الأرض حتى علا فوق رأس القبة بتدبير  
أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة وحواليها محيطاً بها متعدداً بعضه ببعض  
فكانت القبة في غلال من ماء سكباً لا يفتقر » . (المغرب)

وأحواض الرخام التي تمتاز بعمق الرسوم وما تحدثه من بديع الأثر ، والحشوات الخشبية الصغيرة المصنوعة في غاية الدقة والجمال ، كل ذلك يحتاج إلى قلم فنان ليوفيه حقه من التصوير والإبداع . كذلك شيد على حدود الجبل مقابل «الحراء» القصر الملكي المعروف «بالجامع العارف» ؛ وهو كقصر الحراء تكتنفه الأسوار المتينة ، وإذا جاز لنا أن نستعمل عبارة أحد الكتاب المشهورين ، فنقول إنه تحفة فنية جميلة تتخلله البرك والأحراش والأزهار ، وإن لم يبق إلا القليل من أدواحها الباسقة كشجر السرو والآس ؛ وكان في البساتين شرف تهبط درجات يتخللها مجار تنبعث من قمة الجبال ، ثم تؤلف شلالات عديدة تختفي بين الأشجار والأعشاب المزدهرة .

وكان أمراء غرناطة وخلفاء قرطبة يتسابقون في تشجيع العلم وحماية العلماء وتشديد المباني العامة ، فأصبحت غرناطة في عهدهم موئل العلماء الأعلام والشعراء الأفاضل والجنود الأبطال ، وبالإجمال أصبحت مثابة لأولئك الذين يستحقون أن يكونوا مثلاً أعلى في كافة مناحي الحياة .

ولم تكن فتياتها أقل شهرة في الأدب من رجالها ، ومنهن زينب وحمدة وحنفة والقلاية ومارية اللواتي أكسبن بلادهن وموطن رأسهن شهرة لا تمحوها الأيام . ولم يتقدم الأدب وحده في عهد الملوك العرب ، بل ازدهرت أيضاً ضروب العلم والتاريخ والجغرافية والفلسفة والفلك والطب والموسيقى ؛ وقد كانت توكل إدارة الجامعة إلى رئيس ينتخبه الأساتذة المتأزنون ؛ وفي منتصف القرن الثالث عشر أسند منصب رئاسة جامعة غرناطة إلى سراج الدين أبي جعفر عمر الحكيم ، ولم يكن يراعى دين معين في تعيين الأساتذة والمحاضرين ، إذ كثيراً ما كان يسند هذا المنصب إلى علماء من اليهود والمسيحيين .

وقد جرت العادة في الجامعات العربية الأسبانية أن تعقد احتفالات سنوية ودورية يدعى إليها الجمهور ، ويلقى فيها أساتذة الجامعة الخطب والقوائد .

لما سقطت قرطبة تحولت حركة البطولة إلى غرناطة حيث ازدهرت ووصلت إلى منتهى ذروتها ؛ وكانت النساء كما كن في عاصمة الخلفاء العباسيين يتمتعن بمركز سام في الهيئة الاجتماعية ويفشين مجتمعات الرجال فيكسبها روعة وبهاء ، كما كانت حضورهن في سائر الاجتماعات يدخل البهجة والسرور على قلوب الغرناطيين ، وتعزى روح الفتوة التي عرف بها عرب غرناطة إلى نفوذ المرأة ، فقد كان العربي الذي ينظم في صفوف الجيش أو يسير إلى حومة الوغى يرسم على ساعده قلباً آدمته سهام ( الحب ) أو نجماً يرشد السفين ، أو أول حرف من اسم حبيبه . وكان الفرسان يقدرون أيما تقدير الانتصار الذي يحرزونه في ميدان البطولة برأى ومسمع من النساء اللواتي كن يشتركن معهم في الرقص في معظم الأحيان ؛ ويقال إنهن كن مشهورات بالقسامة والرشاقة وحدة الذكاء وطلاوة الحديد ، وكانت ملابسنهن تتألف من الأثواب الغالية المصنوعة من الحرير أو الكتان أو القطن ، ويتألف أيضاً من الحزام والمنديل ، وفوق ذلك كان لهن ميل خاص إلى العطور بشذا الزهور . وكانت نساء الطبقة الراقية مفرمات بتزيين أنفسهن بالخزاي والزبرجد والزمرد والجواهر الثمينة الأخرى والحلى الذهبية والأحجار الكريمة ، وهكذا كنت تبصرهن في أيام الجمعة كأنهن الأزهار المفتحة في المروج الخضراء .

لباس الرأس  
للرجال

وقد أقصبت العمامة من لباس الجنود في الأندلس منذ زمن طويل ، أما زى أهل بلنسية ، ولا سيما شرقي الأندلس ، فالغالب عليهم ترك العائم وكثيراً ما كان سلاطينهم وقضاتهم يتزيون بزى النصارى . ويقول كاتب معاصر<sup>(١)</sup> إن عالماً مشهوراً بمرسيه دخل في ذات يوم على السلطان وهو حاسر الرأس ، ويقول أيضاً : « إن ابن هود وابن الأحمر كانا بدون عمامة » .  
كان القضاة في المناطق الغربية كقرطبة وأشبيلية يلبسون العائم ، « وهذه

(١) اسمه ابن سعيد وهو معاصر لابن الأحمر .

الأوضاع التي بالشرق في العائم لا يعرفها أهل الأندلس ، وإن رأوا في رأس مشرقى داخل إلى بلادهم شكلا منها أظهروا التمتع . وكثيرا ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم وأشرفهم بزى<sup>(١)</sup> النصارى المجاورين لهم ، فسلحهم كسلحهم ، وكذلك أقبيتهم وأعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطنن ، كما كانوا يلبسون فوق الدروع سترة قصيرة قرمزية مزركشة . ويقال إن المسلمين الأسبان كانوا أشد خلق الله اعتناء بنظافة لباسهم وفراشهم وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وكان منهم من لا يملك غير ما يسد به رمقه ، ولكنه مع ذلك كان يطوى يومه صائما ليتناع صابوناً يفضل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها .

نظرة طمة

قد عاجلنا فيما تقدم شؤون قرطبة وغرناطة ، فلم يبق لدينا الآن غير الإلمام بالشؤون الإدارية ، ونوع الحكومة ، والأحوال الاقتصادية في أسبانيا ، وكذلك مستوى الثقافة في البلاد ونهضتها الاقتصادية .

الحكومة

كان السلطان هو الرئيس الأعلى للدولة ، وكان الوزراء كما كان الشأن في الشرق ، يتولون إدارة الحكومة ، فقسموا الوزارة إلى أربعة أقسام اختص بكل واحد منها وزير ، وهم : (١) وزير المالية ، (٢) وزير الخارجية ، (٣) وزير إدارة القضاء والنظر في حوائج المتظلمين ، (٤) وزير لإدارة الجيش ودفع رواتبه . ويظهر أن مستشارى السلطان كانوا يسمون أيضاً بالوزراء ، ولكنهم لأجل أن يميزوا الوزراء الذين كانوا يديرون شؤون الدولة عن أعضاء مجلس الخليفة كانوا يسمون الوزير من القسم الأول بالوزير ذى الوزارتين ، وكان كبير الوزراء يسمى « بالحاجب » وهو يتصل رأساً بالسلطان ، ويتلقى منه الأوامر ، وكانوا يجلسون في إيوان واحد ، غير أن كرسي الرئيس كان أعلى من

(١) لمل القبعات كانت قلنسوات مصفرة الحجم ، وقد جاء في قاموس دوزى « أن النويرى يقول بأن القلنسوة كانت مستعملة في أسبانيا » .

كرامى بقية الأعضاء ، أما المستشارون الخاصون فكانوا كالوزراء يجلسون مع الخليفة فى إيوان الخلافة .

وكان ثمة وكلاء أو كتاب دولة من جملتهم كاتب الرسائل وكاتب الزمام ، وكان يعهد إليه العناية بالذميين ، وآخر يعهد إليه الإشراف على الحسابات العامة ويسمى « بصاحب الأشغال » ، وكان منصبه يعادل اليوم منصب « وزير المالية » ، إذ كانت وزارته تختص بقبض الدخل وفرض الضرائب وصرف النفقات ، وكان يسمى صاحب هذه الوظيفة فى مملكة غرناطة « بالوكيل » ؛ ولم يكن فى دولة غرناطة مناصب وزارية ، إذ كان يقوم الوزير بمهمة كتابة الرسائل ، بينما كان السلطان نفسه يوقع الرسائل ويختم المراسيم ، وفى عهد بنى الأحمر وبنى مرين كان عمل « صاحب الأشغال » مقتصرًا على جباية الخراج .

وكان منصب القضاء فى أسبانيا على جانب عظيم من الهيبة والوقار ، وكان قاضى القضاة يسمى « بقاضى الجماعة » .

القضاة

وكان يسمى رئيس الشرطة فى الأندلس ، كما كان يسمى فى الشرق « بصاحب الشرطة » ، ولكنه كان أوسع نفوذًا فى قرطبة ؛ غير أنه أصبح فى عهد الملوك المتأخرين « ضابط شرطة » فحسب ، وكان يسمى الحاكم « بصاحب المدينة » ، و « صاحب الليل » يرأسهما القاضى ، أما « المحتسب » فكان يؤدى وظيفته على نحو ما يؤدونها فى مدن آسيا وأفريقيا ، فيتمين عليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما كان يعزر ويؤدب ، ويراقب الفسح والتدليس فى أمور المعيشة والمكايل واللوازين . وكان حراس الليل يسمون « بالدرابين » ، ومهمتهم إقفال أبواب المدينة الداخلية بعد صلاة العشاء ، وكانوا مسلحين دائمًا ويحملون الفوانيس وتصحيحهم كلاب الحراسة .

الشرطة

وكان القائد البحرى فى المصور الأولى يسمى « بأمير الماء » ، وقد أخذها

عنهم الفرنج والأسبان وحرفوها ، فقالوا « الميرانت » ، ثم أخذها عنهم العرب مشوهة باسم « الميلاند » وسمى هذا المنصب في عهد عبد الرحمن الناصر وأخلافه بقائد الأسطول ؛ وكان الأمويون والموحدون يملكون أسطولا حربياً يبرز جميع أساطيل الدول المسيحية في النظام والاستعداد الحربى ، ولا شك أن اضمحلال سلطان العرب يعزى على الأغلب إلى ضياع تفوقهم البحرى ، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون .

الزراعة

لم تتمتع أى دولة في العالم بازدهار الزراعة كما تمتعت أسبانيا في عهد العرب الذين ألما بمخاوص الزراعة ، وجعلوا فلاحه الأرض علماً قائماً بذاته ، فاستطاعوا بأمثل الطرق والمهارة والعلم أن ينموا محصولاتها ويستخرجوا كنوزها ، كما عرفوا ملاءمة التربة والطقس لزراع النباتات المختلفة ، ولا ننسى أن نشير بهذا الصدد إلى أن الأسبان مدينون للعرب بإدخال زراعة الأرز وقصب السكر والقطن والزعفران والأسبيناغ ومختلف أنواع الفاكهة إلى أسبانيا التي اشتهرت بها فيما بعد ، وعنها أخذ العرب هذه المزروعات ، كذلك استغلوا موقع كل منطقة وزرعوا فيها المزروعات الملائمة كأحراش النخيل في ولاية بلنسية ، والأرز في البوفيرا ، وقصب السكر والقطن في أوليفا وكندية ؛ وكانت الكروم تبدو من أبداع ما تقع عليه العين في شريش وغرناطة ومالقة ، بينما كانت أراضي أشبيلية والقسم الأعظم من أندلوسيا مزروعة بالزيتون ؛ وقد أقيمت في كافة البلاد القناطر الكبيرة ، وحفرت الترع والمصارف العديدة لاستجلاب الماء وتوزيعه بالطرق الفنية ؛ وكان صنع الفولاذ في أسبانيا مشهوراً في كافة أنحاء العالم ، أما سيوف غرناطة فكانت تفضل على غيرها لحسن صنعها وإتقانها ؛ كذلك يقال إن العرب أدخلوا في أسبانيا صناعة الحرير والقطن والمنسوجات الصوفية ، ومهروا بالأخص في الصباغة ، كما اخترعوا الصباغة بالنيلة ؛ ولا يخفى أن المزهريات التي لا تزال محفوظة في قصر الحمراء والقرايمد الزاهية التي تزين تلك المهارة الفخمة تنهض دليلاً على إزدهار

صناعة الخرف . أما صادراتهم فكانت تشتمل على الذهب والفضة والنحاس والحرير الخام والمصنوع ، ودودة القز والزئبق وحديد الزهر ، والحديد والزيتون والمصنوعات الصوفية ، والعنبر وصمغ العنبر ، وحجر المنطيس ، والإمّند والطلق والبلور والزيت والسكر ، ومعدن الكبريت والزعفران والزنجيل والمر والأدوية الأخرى ، والصدف واللؤلؤ والياقوت المستخرج من مناجم مالقة وبيجا والجلثت (حجر كريم أزرق) المستخرج بالقرب من قرطبنة .

كذلك كانوا مشهورين على الأخص بدباغة الجلود والصبغة ، وتزيين الجلود بالنقوش البارزة ؛ وقد قضى على هذه الصناعة في أسبانيا منذ خروج العرب ، ونقلت منها إلى فاس ، ثم إلى انكلترا حيث أطلق عليها اسم الموروكو ، كما أدخلوا في أسبانيا صناعة البارود والسكر والورق .

لم يهمل العرب في أسبانيا الفنون الجميلة ، ولا مشاحة أنهم فاقوا جيرانهم النصراني في صناعة نحت التماثيل والتلوين ، وكانت قصور الخلفاء في قرطبة وبالأخص الزهراء مزينة بالتماثيل والألوان الجميلة ، كما تشهد تماثيل السباع والأصباغ الباقية إلى الآن في قصر الحمراء تطور هذين الفنيين في غرناطة ؛ ولم تخل المدن الصغيرة الأسبانية من الكليات أو المدارس ، بينما كان للمدن الكبيرة الأخرى أمثال قرطبة ومالقة وأشبيلية وسرقوسة ولشبونة وجيان وسلنقة جامعات تتمتع بمركز ممتاز في جميع أنحاء العالم .

ومن جملة المؤرخين الذين تألق نجمهم في سماء أسبانيا الإسلامية: ابن حيان<sup>(١)</sup> وابن العبار<sup>(٢)</sup> وأبو عبد الله البكري ، وابن البشكوال (أبو القاسم خلف<sup>(٣)</sup> بن عبد الملك بن مسعود بن موسى) ، وابن السعيد (أبو الحسن علي<sup>(٤)</sup>) ، والأشقندي

(١) ألف كتابين في تاريخ أسبانيا واحداً في عشر مجلدات والآخر في ستين مجلداً .

(٢) توفي سنة ١٠٧٦ م .

(٣) ولد في قرطبة سنة ١١٠١ م وتوفي سنة ١١٨٣ م .

(٤) ولد في غرناطة سنة ١٢١٤ م وتوفي سنة ١٢٨٦ — ١٢٨٧ م ودرس في أشبيلية .

(أبو الوليد إسماعيل من أهل أشقونده<sup>(١)</sup>) ، وابن الخطيب (اسان الدين<sup>(٢)</sup>) .  
أتينا فيما تقدم على ذكر شاعرات قرطبة وأديباتها ، ونستعرض الآن أسماء  
زميلاتهن في غرناطة وهن : حسانة التميمية ابنة أبي الحسن الشاعر المشهور ،  
وأم العلال التي تألق نجمها في القرن السادس الهجري في وادي الحجارة ، وأمة  
العزير وقد لقت بالشريفة لشرف نسبها ، والفسانية من أهالي باجينة التي نبغت  
في القرن الخامس ، والعاروزية وقد اشتهر اسمها وذاع صيتها في بلنسية في البلاغة  
والنحو ، وتوفيت في دينية سنة ٤٥٠ هـ ، وحفصة الراقونية المشهورة بقسامتها  
وحدة ذكائها ونبل محتدها وواسع ثروتها ، وقد تألق نجمها في دولة الموحدين ،  
وابنة حمدون من أهالي وادي الحجارة وكانت من أشهر شاعرات عصرها ،  
وزينب المرابية من وادي عاش ، ومريم بنت أبي يعقوب الأنصاري من أشبيلية ،  
وكانت أديبة شاعرة جمعت إلى حسن الصفات غزارة العلم ومتانة الأخلاق ،  
وعلى هذا اجتمع حولها كثيرات من طالبات العلم ، وقد توفيت في أواخر القرن  
الرابع ؛ ومن جملة اللواتي تألق نجمهن أسماء العامرية من أشبيلية ، وأم الهنا بنت  
القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الفقيه المشهورة ، وبهجة من قرطبة وهي  
صديقة الولادة ابنة المستكني ، وكانت قد اشتهرت بقسامتها ورقة شائلها ؛ أما بيثنة  
زوجة المعتمد وابنته فكانتا تحتلان أسمى مكانة بين العلماء والأدباء . ولعل هذا  
الوصف لأسبانيا المسلمة لا يبدو كاملاً ما لم نضف إليه أسماء الأطباء والفلاسفة  
المعتازين الذين القوا شعاعاً ساطعاً على الأندلس وهم :

« أبو بكر محمد » بن يحيى الملقب بابن الصائغ المعروف بابن باجه وهو من  
سرقوسة ، وقد نبغ في الطب والفلسفة والرياضيات والفلك ، وكانت له فوق  
ذلك دراية واسعة بالموسيقى ، وتوفي في فاس سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) .

(١) توفي سنة ١٢٣١ — ١٢٣٢ م .

(٢) ولد سنة ١٣١٣ م وكان وزيراً ليوسف أبي الهجاج سابع ملوك غرناطة وقتل  
سنة ١٣٧٤ م متهما بالخيانة .

وابن طفيل (أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل) وكان من أشهر فلاسفة العرب في أسبانيا ، ولد في وادي عاش ، وتوفي في سراكش سنة ١١٨٥ م واشتهر بالطب والرياضيات والفلسفة والشعر ، وكان أبو يعقوب يوسف ثاني ملوك دولة الموحدين ممن يعرف قدره ، والمأثور أن يعقوب المنصور بن يوسف وولي عهده اشترك في تشييع جنازته ، ولعل كتاب « حى بن يقظان » الذى يمدأول كتاب فى الفلسفة الطبيعية هو أشهر كتبه على وجه الإطلاق .

وابن زهر ، وكان من أهالى أشبيلية من عائلة اشتهرت بالعلم والسياسة ، ونبغ منها الأطباء والعلماء والوزراء ، وحاز الكثير منهم مناصب رفيعة ، وتمتعوا برضاء الملوك ، وكان أكبر أطباء أبى يوسف يعقوب المنصور وتوفى سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٩ م) .

وابن رشد<sup>(١)</sup> (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد) ولد سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) وقد شغل جده وأبوه منصب قضاء الأندلس فى دولة المرابطين ، وكان صديقاً حميماً لأبى سروان بن زهر وابن طفيل ، وقد قدمه الأخير إلى « يعقوب بن يوسف » الذى عينه قاضياً لأشبيلية سنة ١١٠٩ م ، وفى سنة ١١٨٢ عين قاضياً فى قرطبة ، وتوفى فى ٩ صفر سنة ٥٩٥ ( كانون الأول سنة ١١٩٨ ) .

---

(١) يقول البارون كارا دى فو Carra De vaux فى مقاله عن ابن رشد فى دائرة المعارف الإسلامية : « إن الإعجاب بصروح ابن رشد كان عظيماً حتى بين رجال الدين الذين كانوا يرون فى مذهبه خطراً يهدد العقيدة » . (المغرب)